

## فن السخرية في الرسالة الهزلية لابن زيدون: دراسة بلاغية

هدى محمد إبراهيم قزح

محاضر متفرغ براتب أستاذ مساعد ( الأدب العربي القديم وتقده)، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، الجامعة الهاشمية، الأردن

(قدم للنشر في 19 / 4 / 1444هـ، وقبل للنشر في 2 / 7 / 1444هـ)

**الكلمات المفتاحية:** الرسالة الأدبية، الأدب العربي القديم، ابن زيدون، فن السخرية، البلاغة.  
**ملخص البحث:** يعني هذا البحث بدراسة فن السخرية في الرسالة الهزلية، ويقف على أبرز أساليب السخرية فيها ويدرسها دراسة بلاغية. كما يحاول بيان صلة ابن زيدون بالنثر، ويقف على أسلوب الاستهلال في الرسالة الهزلية، الذي يخالف فيه ابن زيدون النمط العام للرسائل. ثم يبين أبرز الجوانب البلاغية المتبعة بالسخرية في هذه الرسالة ويربطها بعلوم البلاغة الأساسية، من علم بيان ومعان وبديع، فيأتي على بيان صلة السخرية بالصورة الأدبية من تشبيه واستعارة وكناية، كما يوضح ما يتصل بعلم المعاني من استفهام ساخر، وأسلوب قصر، وأسلوب قسم. كما أولى البحث عناية بدراسة أساليب السخرية في علم البديع من اقتباس وتضمين، وتأکید الذم بما يشبه المدح، والجناس، والطباق، والسجع ودورها في السخرية. وحاول إحصاء فنون البلاغة الساخرة، وإظهار أي الفنون الساخرة توفرت أكثر من غيرها، كما بين أبرز ما تميزت فيه سخرية ابن زيدون عن غيره من الأدباء، وأثر شخصيته فيما قدمه من أوصاف في الرسالة الهزلية.

## The Art of Irony in Ibn Zaydun's Al-Risaalah Al-Hazaliyyah (Comic Letter): A Rhetorical Study

Huda Muhammad Qazaa

*Full-time lecturer with Assistant Professor Rank (Ancient Arabic Literature and its Criticism), Faculty of Arts, Department of Arabic Language, The Hashemite University, Jordan*

(Received: 19/ 4/1444 H, Accepted for publication 2/ 7/1444 H)

**Keywords:** the literary letter, ancient Arabic literature, Ibn Zaydun, art of irony, rhetoric.

**Abstract.** This research is concerned with the art and most prominent techniques of irony in the Al-Risaalah Al-Hazaliyyah (comic letter) from a rhetorical perspective. It also tries to demonstrate the relationships between Ibn Zaydun's work and prose, and explore the technique of prefacing in the comic letter, in which Ibn Zaydun diverges from the general style of letters. Then, it shows the most prominent rhetorical ways used in irony in this letter and links them to the fundamentals of rhetoric (eloquence, meanings, and aesthetics), linking irony to literary image including simile, metaphor, and metonymy, and to the branch of rhetoric (meanings) including ironic questions and exclusivity and swearing-to-Allah styles. The research also paid attention to the methods of irony to rhetorical aesthetics including quoting, and citing, and using slander praise-like manner, alliteration, antithesis, and rhyming, as well as their role in irony. Finally, the it also tried to enumerate the rhetoric, ironic arts and show which has been more frequent, and to show the most prominent features of Ibn Zaydun's irony in comparison to others and the impact of his personality in the descriptions he presented in the comic letter.

بنظامه، وظهر كالبدن ليلة تمامه، فجاء من القول بسحر... فشرف بضائع، وأرهف بدائع وروائع، وكلفت به تلك الدولة، حتى صار يلهج بلسانها، وحل من عينها مكان إنسانها" (ابن خاقان، 1989، ج2، ص209).

كما قدمه الكلاعي على أنه ناثر قبل أن يكون شاعرًا حيث قال: " كان صاحب منثور ومنظوم وخيمة شعر مخزوم ". ( الكلاعي، 1996، ص258)، وعده علي عبد العظيم من " طائفة الكتاب المنشئين الذين تتصرف مواهبهم إلى إتقان وسائل التعبير وصياغة الأساليب اللفظية والمعنوية، وعنايتهم بالصور فوق عنايتهم بالأفكار" (ابن زيدون، 2004، ص104)؛ وذلك لما يظهر في أدبه من عناية وتصرف بفنون القول واتباع للأساليب المختلفة في التعبير.

ووصفه مصطفى الشكعة بأنه "فنان أعد نفسه لامتلاك ناصية فن النثر إعدادها لامتلاك مجامع فن الشعر" (الشكعة، 1975، ص75) ولا تكاد دراسة حول نثر ابن زيدون تخلو من الإشادة بتميزه فنياً بالنثر.

#### الرسالة الهزلية:

كتب ابن زيدون هذه الرسالة على لسان ولادة ردًا على غريمه الوزير ابن عبدوس، الذي كان يكن له مشاعر البغض والكره بسبب منافسته له بحب ولادة " فهداه تفكيره إلى أن يكتب رسالته هذه إليه على لسان ولادة نفسها حتى يقطع الطريق عليه في صلته بها، وحتى يكون النيل منه أعمق جرحًا " (الشكعة، 1975، ص595). ومما أثار غضب ابن زيدون وغيرته الشديدة على ولادة أن ابن عبدوس في أول عهده بولادة كان يرسل إليها امرأة تستميلها إليه .

الأمر الذي دفع ابن زيدون لكتابة الرسالة الساخرة بحق ابن عبدوس، والتي تعد من أشهر الرسائل الأندلسية في موضوع السخرية التهكمية.

#### الاستهلال:

إن ما يستهل به الأدباء أعمالهم الأدبية ومنها الرسالة يعد سمة أسلوبية لها أثرها على القارئ ومنذ القدم اهتم العرب بما يسمى " بحسن الاستهلال"، ذلك أن " الفاتحة النصية تمثل لحظة بدء الاتصال بين قطبي الإبلاغ: المرسل والمرسل إليه" (لنجو، 1999، ص37).

ونحن أمام عمل أدبي له تأثيره على المستوى النفسي الاستقبالي مما يحتم علينا ضرورة التوقف على الأسلوب الأدبي الذي انتهجه ابن زيدون من خلال تحليل أركان الموقف الاتصالي اللغوي من مرسل ورسالة ومستقبل.

فالكتابت الحقيقي (المرسل) لهذه الرسالة هو ابن زيدون والمتحدث عنه المرأة الوسيطة بين ابن عبدوس وولادة.

#### السخرية:

السخرية في اللغة هي الاستهزاء والضحك (ابن منظور، مادة سخر)، أما في الاصطلاح فهي:

" طريقة في الكلام يعبر بها الشخص عن عكس ما يقصده بالفعل ". ( وهبة، والمهندس 1984، ص198) ويرى بعض الدراسين أن السخرية منهج جدلي يعتمد على الاستفهام بمفهومه البلاغي، وأنها أسلوب في تعليم المعارف. (علوش، 1985، ص110).

وقد انتهج ابن زيدون في رسالته الهزلية عدة أساليب بلاغية للتعبير عن معانيه وصوره الساخرة، مما دفع بعض الدراسين لتناول السخرية عنده، كدراسة " الرسالة الهزلية: قراءة في الوجه الآخر لابن زيدون" (أدي ولد أب، 2009م، ص39\_51)، التي حاول فيها تحليل الرسالة الهزلية متبعًا منهج التأويل، ومؤكداً على الجانب النفسي المتجلي فيها بما يضيف صدق التجربة، إضافة إلى رصد بعض الظواهر الفنية فيها.

ودراسة "تقاطعات البنى السردية في الرسالة الهزلية لابن زيدون" (العلي، 2015، ص373\_405) وفيها أكدت الباحثة أن الرسالة الهزلية تنفتح على عوالم سردية متعددة المستويات، تتوازي فيها أزمنة وأمكنة شتى، وقد حاولت استنطاق النص السردى بصوته الأنثوي وتفكيك بنيته للكشف عن مكوناته، ومقارنته بفهم جديد لبيان تعلق الأدب الأندلسي مع نظيره المشرقي بعيداً عن مقولات التبعية والاستنساخ.

ودراسة الرسالة الهزلية وسؤال السخرية، (عطية، 2018، ص39\_51)، وفيها بينت الباحثة أن ابن زيدون عرض في رسالته موضوعات جادة في قالب ساخر من خلال المبالغة أو التهويل، أو قلب الحقائق على سبيل التندر، وقد رأت أنه تأثر بفكاهة الجاحظ في رسالة التربيع والتدوير، والمنهج الفكاهة الساخر لأبي إسحاق الصابي.

ولا ريب أن بحثي يلتقي بالاهتمام مع هذه الدراسات بفن السخرية، لكن منهجي المتبع مختلف حيث يركز على الجوانب البلاغية بشكل خاص ويحاول أن يبين أثر هذه الفنون في الإقناع والسخرية.

#### ابن زيدون والنثر:

اشتهر ابن زيدون بالشعر إلا أن نثره كان متميزاً وهذا ما أشار له ابن بسام في ذخيرته وهو يترجم له: " كان أبو الوليد صاحب منثور ومنظوم... ووسع البيان نظماً ونثراً، إلى أدب ليس للبحر تدفقه... وحظ من النثر غريب المعاني" (الشنتريني، 1997، مج1، ص336)، وقد بين أن رسائله " بالمنظوم أشبه منها بالمنثور " (الشنتريني، 1997، ص337)، ولما كان فيها من شعرية عالية، ولما احتوتها من تضمين لأبيات شعرية تظهر سعة ثقافته وتمكنه في الشعر العربي.

كما أكد ابن خاقان على تميز ابن زيدون في النثر ومكانته العالية في بلاط بني جهور حيث قال عنه: " زعيم الفئة القرظبية، ونشأة الدولة الجهورية الذي بهر

غرور غريمه الذي دفعه أن يظن بأن له مكانة رفيعة تؤهله لحب ولادة، من أجل ذلك ظل يصفه بالجهل وعدم المعرفة والغرور.

وقد اتبع ابن زيدون عدة أساليب بلاغية في رسالته الهزلية لتمثل معاني السخرية بطريقة أدبية وجمالية استعان فيها بالموروث الأدبي القديم بما يظهر سعة ثقافته، وتميز لغته.

وسنحاول أن نقف على أبرز الأساليب التي وظفها من أجل خدمة غرضه الأساسي من الرسالة وهو السخرية بابن عبدوس وجعله يحيد عن التفكير بولادة. وفي المقابل سنجد أنه يحرص على بيان تميزه وتمكنه لغويًا وفكريًا، بما يؤكد أنه هو الأحرى بحب ولادة.

### أساليب السخرية البيانية في الرسالة الهزلية:

#### 1. التشبيه الساخر:

يعد التشبيه من وسائل الإيضاح التي تهدف إلى زيادة التأثير في النفس وترسيخ المعاني فيها، إذ يعقد مقارنة بين أمرين أو أكثر يشتركان بصفة أو أكثر بقصد إبراز هذه الصفة في أحدهما، فإذا كان دماً جاء مؤثراً موجعاً يبرز عيوب المهجو ويصورها واضحة للعيان فتكون الصورة أبلغ في الدم وأكثر تأثيراً في الخصم (ساعي، 1984، ص45) لذلك يقول الزمخشري عن التشبيه في حالة الدم "فيه تيكيت للخصم الألد، وقمع لسورة الجامح الأبي" (الزمخشري، د.ت، ج1، ص37).

والعرب استعملوا تشبيهات عديدة في حال الدم فإذا أرادوا دم أحد أو التهكم به شبهوه بها، ولا ينصرف الذهن عند إطلاق هذه التشبيهات إلا إلى تلك المعاني المشتهرة المتعارف عليها... كما أن هناك أشخاصاً اشتهروا بخلال ذميمة وخصال قبيحة، فشبّه بهم في حال الدم والتهكم: كباقل في العي، وهبنقة في الحمق (العسكري، 1989، ص265). ومعنى التمليح والتهكم في الاصطلاح: "إطلاق اللفظ الدال على وصف شريف على ضده، كإطلاق الكريم على البخيل، والأسد على الجبان" (الجندي، 1952، ص104).

وقد يقوم التصوير الساخر على تكبير جوانب الضعف أو القبح في شيء ما، فيبالغ فيها بقصد استغلال الطبيعة في بيان عنصر التشويه فتكون باعثاً على الضحك في الوقت الذي تؤدي فيه غرضاً اجتماعياً أو إنسانياً كما في فن الرسم الساخر (الكاريكاتور). " (الهول، 1982، ص18)، وقد استعان ابن زيدون في رسالته الهزلية في عدة مواطن بفن التشبيه الساخر ومنه:

أختياره للبيت الشعري الآتي:

من تلق منهم نقل لأقبت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها

(ابن زيدون، 2004، ص680).

والذي حاول فيه أن يعقد مقارنة بين صفات غريمه ابن عبدوس وبين قومه الذي ينتمي إليهم، الذي رأى أنهم يشبهون النجوم في علوهم ورفعتهم، وقد قصد في

وولادة هي الكاتبة المفترضة (الضمنية) التي تقمص ابن زيدون شخصيتها وأرادها أن تكتب ذلك، وابن عبدوس هو المرسل إليه.

إن ابن زيدون لم يلتزم بالاستهلال النمطي للرسالة حيث كانت مقدمته بتراء لا بسملة فيها ولا حمد ولا صلاة مع أنه فقيه، وهو بهذا يمهد للقارئ كي يقرأ الرسالة بأسلوب مختلف، استهله بفصل الخطاب "أما بعد"، وقد خلت من الدعاء والمقدمات، وبدأها مباشرة بهجاء ابن عبدوس "أيها المصاب بعقله، المورط بجعله، العائر في ذيل اغتراره" (ابن زيدون، 2004، ص663) مما يظهر تخففه من بعض تقاليد بدايات الرسائل، لكنه حافظ على الإطار العام للرسالة.

والاستهلال لا نبالغ إن قلنا إنه أحد أركان البلاغة، ويمكن أن يكون دالاً على المعنى المراد (ابن الأثير، د.ت، ص96) فابن زيدون قصد أن يستهل رسالته بهذه الصورة لجلب انتباه المتلقي والمبالغة بالسخرية من ابن عبدوس.

وإشارات البلاغيين العرب القدامى وكذلك النقاد إلى الاهتمام بالاستهلال كثيرة. (الجاحظ، ط5، ج1، ص125، أبو المظفر، 1960، ص285).

والاستهلال ملحم أسلوب مهم وله علاقة وثيقة بأجزاء الرسالة التي غرضها الأساسي السخرية؛ لذلك يعده بارت عنصرًا لتوليد الأسئلة داخل النص، وهو الموجد في الآن ذاته لحلولها (هوكز، 1986، ص106\_107)، فمن يحسن الاستهلال يحسن نسج خطابه الأدبي الثري الذي يوجهه لمتلق أو قارئ غالباً ما يكون متشوقاً لمعرفة الكاتب وغرض النص، فهل كشف ابن زيدون عن ذلك في استهلال الرسالة؟

إن الهدف المعلن لإنشاء هذه الرسالة، هو أن ابن عبدوس أرسل امرأة من جهته إلى ولادة بنت المستكفي تستميلها إليه، وتذكر محاسنه ومناقبه، وتطلب إليها وصاله، فردت عليه ردًا قاسياً فيه من السب والشتم والهجاء له ولسفيرته، وفي مقابل ذلك أعلنت من قدرها وتباهت بحسنها ورفعة حسبها ونسبها، وطلبت منه مهددة ألا يتناول عليها وأن يلزم نفسها قدرها.

ولا ريب أن رسالة ابن زيدون هي وحدة نصية متكاملة لا يمكن فصل أجزاءها عن بعضها ولعل اشتمال الاستهلال على جملة من المقومات التي تدور في فلك السخرية والتهكم يؤكد هذا، حيث بدأت الرسالة الهزلية بأسلوب النداء دون بسملة أو دعاء، وكان النداء للمهجو دون ذكر اسمه، وهذا ينسجم مع مبتغاه بالسخرية من ابن عبدوس حيث أن موضوع السخرية لا يحتل المقدمات المعهودة، وكذلك هذا المهجو لم يحتل مكانة في نفس ابن زيدون وبالتالي قصد عدم ذكر اسم المهجو ولم يخاطبه مباشرة على لسانه وإنما على لسان غيره، وفي هذا تعبير أعمق عن الهجاء وما كان يضمه من غيرة شديدة اتجاه غريمه.

الأمر الذي جعل الرسالة الهزلية تبدو وكأنها تتخذ ما يسمى بالنمط الدائري حيث بدأها بالهجاء وختمها كذلك ببيت هجاء دون ذكر المهجو، وذلك حتى يؤكد

**2. الاستعارة الساخرة:**

قسم البلاغيون الاستعارة إلى أقسام عدة باعتبار الطرفين، وباعتبار الجامع، وباعتبار الثلاثة، وباعتبار أمر خارج عن ذلك كله.

وهي تنقسم باعتبار الطرفين إلى قسمين، لأن اجتماع هذين الطرفين في شيء إما ممكن فهي وفاقية، أو ممتنع فهي حينئذ تسمى عنادية.

ومن العنادية ما استعمل في ضد معناه أو نقيضه بتزليل التضاد أو التناقض منزلة التناسب بواسطة تهكم أو تمليح (الصعيد، ط7، ج3، ص121\_122).

ومن الاستعارة قوله: "العائر في ذيل اغتراره" (ابن زيدون، ص663)، فهو يشبه غريمه بفتاة تعثرت بذيل ثوبها تيتها من باب الاستعارة المكنية، ليؤكد على أن غريمه ابن عبدوس مصاب بالعجب والتيه والغرور، ويلصق به كل ما يدعو للتغيير منه.

ومن الاستعارات التشخيصية قوله: "والعجب أكذب" التي يؤكد فيها غرور غريمه، ويقدم له فيها رسالة بضرورة البعد عن التعجب، لأنه يؤدي إلى الهلاك بصاحبه كما الكذب.

ومن الاستعارات قوله: "قرعت دونه أنوف أشكالك"، و"يركب الصعب من لا ذلول له"، و"يحن قرح ليس منها"، و"اشتريت العافية لك بالعافية منك". وفيها يؤكد أن ابن عبدوس ليس أهلاً لحب ولادة، وأن من أحبها ليست سلعة تباع وتشترى ليظن أنه بإمكانه التمكن من قلبها وتحقيق مراده.

وقد تميز ابن زيدون بما يسمى بالاستعارة التمثيلية حيث يقول في إحدى استعاراته: "وكم بين من يعتمدني بالقوة الظاهرة والشهوة الوافرة... وهل يجتمع لي فيك إلا الحشف وسوء الكيلة، ويقترن علي بك إلا الغدة والموت في بيت سلولية" (ابن زيدون، ص683).

حيث ظهرت الاستعارة في استخدام المثل "الحشف وسوء الكيلة، الموت في بيت سلولية"، حيث وظفه للدلالة على الذل والهوان فهو يشبه حال ابن عبدوس بعامر بن الطفيل الذي ذهب إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليمتنعه من أداء الرسالة فما كان إلا أن قرر محاربة النبي محمد صلى الله عليه وسلم فعاقبه الله بالمرض في بيت امرأة سلولية قبل موته.

**3. الكناية الساخرة:**

تعرف الكناية على أنها لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته كقولك: فلان طويل النجاد، أي طويل القامة. إذ يقول عبد القاهر الجرجاني "والمراد بالكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيؤمى به إليه، ويجعله دليلاً عليه" (الجرجاني، ط2، دت، 66).

وقد ذكر البلاغيون أنه لا يصار إلى الكناية والتعريض إلا لغرض يقصده المتكلم، يرى أن الكناية عنه والتعريض به أولى من التصريح، يقول ابن الناظم: "ولا يترك التصريح بالشيء إلى الكناية عنه في بليغ الكلام إلا لتوخي نكتة كالإيضاح، أو بيان حال

هذا الفخر بنفسه وقومه، الذين أثبت لهم السيادة، وكل ذلك يجعله الأجدر بحب ولادة من غريمه.

ومن التشبيه قوله:

"ما أنت وهم؟ وأين تقع منهم؟ وهل أنت إلا واو عمرو وفيهم؟" (ابن زيدون، 2004، ص680\_681)، الذي رأى فيه أن غريمه مثل الواو التي تلحق في الكتابة باسم عمرو وليست من حروفه، ليدل على عدم أهميته.

وقوله: "وكالوشيفة في العظم بينهم" (ابن زيدون، 2004، ص681)، الذي يشبه فيه غريمه بقطعة عظم زائدة في العظم الأصلي، حتى يظهر أنه جزء غير أساسي يمكن التخلي عنه.

ومنه قوله: "الساقط سقوط الذباب على الشراب، المتهافت تهافت الفراش على الشهاب" (ابن زيدون، ص663)، حيث شبه تهافت منافسه على ولادة كتهافت الفراش على الشهاب، والفراش يحب النور ويلتف حوله وكذلك الحال بالنسبة لغريمه فهو يحاول التقرب من ولادة ويسعى لكسب رضاها دون تحقيق المراد، وهو بذلك قارن بين غريمه وبين الفراش والذباب، ورأى أنهم يشتركون في صفة التهافت.

وبذلك أجاد بوصف الضياع والهلاك الذي وقع به غريمه حينما ظن أن القرب من ولادة أمر ممكن.

وكثيراً ما كان ابن زيدون يحاول سلب الصفات الإيجابية من غريمه من خلال استحضار شخصيات عرفت في العقل الجمعي بصفات السلبية فيقارنه بهم، وفي ذلك مبالغة في الذم والتهكم والسخرية ومنه قوله:

"حتى إن باقلاً موصوف بالبلاغة إذا قرن بك"، ليؤكد جهله وعدم بلاغته، "وهينقة مستحق لاسم العقل إذا نسب إليك"، و"أبو غيشان محمود منه سداد الفعل إذا أضيف إليك" ليؤكد صفة حمق غريمه، و"وطويسا ماثور عنه يمن الطائر إذا قيس عليك" (ابن زيدون، ص627) ليثبت أنه مصدر للتشاؤم.

كما حاول ابن زيدون أن يؤكد جهل غريمه بنفسه حينما استحضر قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز في القرآن الكريم ليدل على توهمه بصفة الجمال وهو في نظره ليس كذلك، حيث قال:

"حتى خيلت أن يوسف عليه السلام حاسنك فغضضت منه، وأن امرأة العزيز رأتك فسلت عنك" (ابن زيدون، ص664).

ومما دل على المشابهة ضمناً:

وتمثلت:

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان

(ابن زيدون، ص677)

فالفعل تمثلت يعني التقارب والتشابه، فهو يرى استحالة التقاء غريمه ابن عبدوس بولادة كاستحالة التقاء الثريا بسهيل.

وكل هذا له أثر نفسي على غريمه الذي يحاول أن يستصغره ويحتقره ويقلل من شأنه حتى يجعله يبتعد عن التفكير بولادة.

دلالاته إلى الاستنكار من ابن عبدوس الذي لا يستطيع تقدير الأمور ووضعها في صورتها الصحيحة. ويبدو أن لقاء ابن عبدوس بولادة كان مستحيلاً، لذلك يستفهم ابن زيدون على لسان ولادة: "وأنت جهلت أن الأشياء إنما تجذب إلى أشكالها؟" والطير إنما تقع على أمثالها؟" (ابن زيدون، ص676). وهنا خرج الاستفهام إلى معنى التعجب من ابن عبدوس الذي وصل إلى حد كبير من الجهل حينما طمع بحب ولادة وهي لا تشبهه.

ولا يكتفي ابن زيدون بهذا بل يوظف الاستفهام أيضاً للسخرية والتهكم منه حين ادعى رواية الأشعار وحفظ السير والأخبار وهو جاهل فيها، ولعل محاولته في توظيف الموروث الأدبي تؤكد مدى سعة ثقافته ومعرفته بالسير والأخبار على عكس غريمه.

حيث قال: أين ادعاؤك رواية الأشعار؟ وتعاطيك حفظ السير والأخبار؟ (ابن زيدون، ص678).

كما لجأ إلى تحفيره عن طريق الاستفهام الساخر على لسان ولادة وذلك حين قال: وهل فقدت الأرقام فأنكح في جنب؟ أو عضلني همام بن مرة فأقول زوج من عود خير من قعود (ابن زيدون، ص679).

فولادة لن ترضى بالزواج من غريمه مهما بلغ بها الأمر، وتصير على رفع قدرها وحط قدره، لتبين أنها لن تعبأ بكلامه ولا كلام المرأة التي أرسلها إليها ليستميل مشاعرها.

## 2. أسلوب القصر:

من الأساليب المتبعة عند الكتاب وهو " تخصيص أحد بأخر بطريق مخصوص أو هو إثبات الحكم لما يذكر في الكلام ونفيه عما عداه"، ومن طريقه " النفي والاستثناء مع إنما ونحو، والعطف بلا ولو ولكن، وتقديم ما حقه التأخير" ( الهاشمي، ص165\_166) وقد استعان ابن زيدون بأسلوب القصر لتأكيد المعاني حيث قال:

" وأن مالك بن نويرة إنما ردف لك، وعروة بن جعفر إنما رحل إليك...وعمر بن الأهتم إنما سحر ببيانك" (ابن زيدون، ص665\_666). وكذلك من أجل السخرية من غريمه، حيث نسب إليه صفات ليست فيه وبعيدة عنه، مما دل على سعة ثقافته مقابل ضعف غريمه وجهله.

وقد وظف تركيباً بدأ ثابتاً في الرسالة وهو: (الاسم وإنما ثم الفعل ثم الجار والمجرور) للتأكيد على كل المعاني التي تقلل من شأن غريمه، وذلك من خلال سلب كل الصفات الإيجابية الممكنة عنه.

## 3. أسلوب القسم:

لجأ ابن زيدون إلى أسلوب القسم وهو من الأساليب الإنشائية غير الطلبية، وذلك بغرض تأكيد المعنى في ذهن المتلقي، حيث خاطب غريمه مستعيناً بهذا الأسلوب الذي جاء بأداة القسم: الواو، ثم المقسم به: لفظ الجلالة

الموصوف أو مقدار حاله، أو القصد إلى المدح أو الذم، أو الاختصار، أو الصيانة، أو التعمية والإلغاز، أو التعبير عن الصعب بالسهل، أو عن الفاحش بالظاهر، أو عن المعنى القبيح باللفظ الحسن" (ابن الناظم، ص147)، وذكر ابن معصوم ستة من الأسباب التي يعدل لأجلها من التصريح إلى الكناية وجعل منها قصد الذم (ابن معصوم، ط1، ج5، ص311).

ومن فوائد الكناية وأغراضها التحرز عن ذكر الفواحش السخيفة بالكنايات اللطيفة، وإبدال ما يفحش ذكره في الأسماع بما لا تنبو عنه الطباع، ومن الكنايات الساخرة ما جرى مجرى الأمثال، وهذا كثير جار في كلام العرب "وأكثر أمثالهم الفصيحة على مجاري الكنايات (الجرجاني، 1326هـ، ص3).

والناظر في رسالة ابن زيدون يرى أنه لجأ إلى فن الكناية للسخرية من غريمه بتلطف، وذلك من خلال العدول عن التصريح مباشرة بالصفات السلبية.

ومن الكناية قوله: "الأعمى عن شمس نهاره" (ابن زيدون، ص663) للإشارة إلى ضلال ابن عبدوس وحياده عن الصواب، وفي هذه الكناية جانبان: مدح شبيه بالذم حيث فيه إذلال لغريمه، وإعلاء من شأن ولادة التي رأى أنها شمس النهار.

وابن عبدوس حسب ما يرى ابن زيدون أعمى لا يعرف طريقه، وقد حاد عن الصواب حين تعرض لولادة.

ومن الكناية قوله: "الساقط سقوط الذباب على الشراب" (ابن زيدون، ص663) كناية عن ضعفه وخفته، وقوله " المتهافت تهافت الفراش في الشهاب" (ابن زيدون، ص663) للدلالة على خفته وطيشه.

كما وظف ابن زيدون الكناية بصورة واضحة حين بين صورة ابن زيدون السلبية وفق رؤية ولادة التي تخالف الصورة الإيجابية التي حاولت المرأة المرسله من قبل ابن عبدوس رسمها له ومن ذلك قوله:

"هجين القذال" (ابن زيدون، ص675) كناية عن خيبة الأصل، وقوله: "أرعن السبال" (ابن زيدون، ص675)، "وطويل العنق والعلاوة" (ابن زيدون، ص675)، كناية عن حمقه، وقوله: "سيئ الجابة والسمع" (ابن زيدون، ص675) كناية عن سوء سمعته وعدم إدراكه لحقائق الأشياء وجهله الشديد.

## أساليب السخرية في علم المعاني:

### 1. الاستفهام البلاغي الساخر:

عد القزويني للاستفهام البلاغي عشرة معان يخرج إليها، ثلاثة منها معان يغلب عليها الدلالة على التهكم والسخرية وهي: الإنكار، والتهكم، والتحقير (القزويني، ط3، ج3، ص72).

وقد وظف ابن زيدون على لسان ولادة الاستفهام الساخر ليثبت لغريمه صفتي اللؤم والضعف، واللؤم اسم يجمع كل الخصال المذمومة، فقال:

"كيف رأيت لؤمك لكرمي كفاء؟ وضعتك لشرفي وفاء" (ابن زيدون، ص676)، وهنا خرج الاستفهام في

ومنه قوله: وقلت الخبيث والطيب لا يستويان (ابن زيدون، ص677) وفي ذلك اقتباس من قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة المائدة، آية رقم 100). وهنا أراد أن يبينه غريمه أنه لا يمكن أن يلتقي بولادة، ويدعوه ضمناً إلى الابتعاد عنها.

كما نجد تناصاً آخر في قوله: " حتى خلت أن يوسف عليه السلام حاسنك، فغففت منه وأن امرأة العزيز رأتك فسلت عنه" (ابن زيدون، ص664). فقد استشهد بقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَأَوْتَنِي يَوْسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْأَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنِ نَفْسِي وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة يوسف، آية رقم 51).

فهو يريد أن يدل على صفة جمال ابن عبدوس ليسلبها منه، وذلك من خلال ذكر جمال سيدنا يوسف عليه السلام، وهذا من باب التهكم به لأنه كان يغتر بحسنه وجماله.

ومنه قوله: " ذلك بما قدمت يدك، لتذوق وبال أمرك، وترى ميزان قدرك" ( ابن زيدون، ص685) الذي اقتبسه من قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (سورة الحج، آية رقم 10)، وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة الحشر، آية رقم 15).

وهو بذلك يسخر منه ويحمله نتيجة ما وصل إليه، ويدعوه إلى الندم ولوم نفسه بالدرجة الأولى لأنه أخطأ التقدير حين فكر بحب ولادة وهو لا يستحقها، وقد وفق بالتناص مع الآيات القرآنية التي حذرت من العذاب، ودعت إلى الحرص على الأفعال.

ومنه قوله: " وقلت: الخبيث والطيب لا يستويان" (ابن زيدون، ص677). الذي اقتبسه من قوله تعالى:

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة المائدة، آية رقم 100).

وهو بذلك يعقد موازنة بينه وبين غريمه، ويرى أن طبيئته لا تماثل خبيث ابن عبدوس ولؤمه، وأن ولادة تستحق الطيب من القول والفعل.

ومنه قوله: " ولولا أن جرح العجماء جبار" (ابن زيدون، ص677) الذي اقتبسه من الحديث النبوي الشريف الآتي: " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْعَجْمَاءُ جُبَارٌ. وَالْبَيْتُ جُبَارٌ. وَالْمَعْدُنُ جُبَارٌ. وَفِي الرَّكَازِ الْخُمْسُ".

(الله)، ثم جملة جواب القسم بما يؤكد سخريته من ابن عبدوس حيث قال: "والله لو كسك محرق البردين، وحلثك مارية بالقرطين، وقلدك عمرو الصمصامة، وحملك الحارث على النعامة، ما شككت فيك، ولا سترت أباك، ولا كنت إلا ذاك" (ابن زيدون، ص682).

### أساليب السخرية البديعية:

#### 1. الاقتباس والتضمين:

استعان ابن زيدون بآيات القرآن الكريم وبعض نصوص الحديث النبوي الشريف وكذلك نصوص شعرية ونثرية من الأدب العربي القديم؛ لنقل المعاني التي يريدها، والتأكيد عليها، وقد أبداع باختيار ما يناسب السياق حيث كان " يتمثل بالأقوال والأمثال أو أي التنزيل الحكيم ويسبك ذلك بقوله ويضفي عليه من شخصيته، وكان الجميع من صنع يديه" ( السيوفي، 2008، ص445-39-40) ومن يقرأ الرسالة الهزلية يلاحظ سعة ثقافته، وقدرته على تمثيل النصوص الأدبية على اختلافها دون أي تكلف، ولعل ورود العديد من الاقتباسات والتضمينات في هذه الرسالة دعا إلى شرحها، فهو يبدو أنه: " يؤلف متنا من المتون، فالإنسان لا يخلص من معرفة شخص ممن يشير إليهم، حتى يقع في مثل أو حادثة أو في بيت شعر يحتاج إلى فضل من الشرح، ولهذا كله عمد ابن نباتة إلى شرح الرسالة " (ضيف، 1959، ص45).

وسنأتي الآن إلى بيان مواطن الاقتباس والتضمين، ونحاول بيان دورها في تمثيل معاني السخرية:

#### أ. الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف:

لجأ ابن زيدون إلى الاقتباس من آيات القرآن الكريم وهو يسخر من ابن عبدوس، محاولاً الاستفادة من الآيات التي كان فيها تهديد ووعيد، ومن ذلك قوله: "أولى لك" (ابن زيدون، ص677) مهدداً ومتوعداً ابن عبدوس بالدعاء عليه بالشر والهلاك، لعله يندم على تفكيره بحب ولادة، ويحيد عن غروره.

وفي ذلك اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى

(31) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (32) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَطِي (33)

أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ (34)﴾ (سورة القيامة).

وقوله أيضاً: "الأعمى عن شمس نهاره" (ابن زيدون، ص363) وفي ذلك اقتباس من قوله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْمَلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ

بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾

(سورة الحج، آية رقم 46). فالعمى الحقيقي ليس هو عمى البصر وإنما عمى البصيرة، وهذا ما أراد أن يؤكد من خلال استخدام النص القرآن المنسجم مع ما أراد أن يثبت من عمى غريمه ببصيرته.

وقصد من هذا التضمين أن صفات ابن عبدوس لو تقسمت على الغواني وهن النساء اللواتي غنين بأزواجهن لم يعطهن الأزواج مهراً غير الطلاق بغضاً فيهن وراحة منهن لما اكتسبن من المساوئ والقبائح. وفي ذلك تأكيد على قبح صفات ابن عبدوس، وعدم قبولها عند ولادة.

وابن عبدوس لم يكن يدرك قيمته ومكانته في نفس ولادة، واغتر بنفسه ولم يعرف قدرها لذلك لم يأت اختيار ابن زيدون لبيت المتنبي في هجاء كافور عبثاً وإنما ليؤكد جهل غريمه بنفسه، ومعرفة الناس لحقيقته التي لا يعرفها ولم ينتبه لها: **وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى** (ابن زيدون، ص686).

### ج. تضمين الأمثال:

من الملاحظ أن ابن زيدون ضمن في نصه العديد من الأمثال العربية، التي جاءت منسجمة مع المعاني التي أرادها، حيث يشعر المتلقي أن " بعض الفقر تبني أسلوبياً على الأمثال وحدها" (سليمان، 2007، ص421).

ويبدو أنه قصد هذا ليعبر عن صفات غريمه السلبية وقبح سيرته ومنه: " وهل يجتمع لي فيك إلا الحشف وسوء الكيلة " (ابن زيدون، ص683). وفي هذا رسم لصورة ابن عبدوس على لسان ولادة التي رأت أنه اجتمع فيه سوء المنظر والمخبر.

إن افتخار ابن عبدوس بذاته لا طائل من ورائه لذلك حذره ابن زيدون من التكبر والغرور مستعيناً بالأمثال العربية ومنها: " وهلا عشيت ولم تغتر " (ابن زيدون، ص678)، " جعجة ولا طحنا " (ابن زيدون، ص685)، " رب صلف تحت الراعدة " (ابن زيدون، ص685).

وأكد له أن إصراره على التكبر والاعترار بنفسه وظنه أن ولادة تحبه، سيقوده إلى الهلاك والضرر، حين قال: " ولا تكن براقتش الدالة على أهلها " (ابن زيدون، ص683 684)، " وعزز السوء المستثيرة بظلفها لحتفها " "فما أراك إلا قد سقط العشاء بك على سرحان" (ابن زيدون، ص684)

وفي بعض المواطن أتى تضمين الأمثال في الرسالة مرتبطاً بحوادث وحكايات كقوله: " كدمت في غير مكرم، ورضيت من الغنيمة بالإياب، ورجعت بخفي حنين، وزوج من عود خير من فعود " (ابن زيدون، ص678)، " وما أمئك أن تكون وafd البراجم؟ " والحررة تجوع ولا تأكل بثدييها. (ابن زيدون، ص679) أو مرتبطاً بخصال محمودة أو مذمومة ارتبطت بشخص بعينه، مثل: وفاء السموال، كرم حاتم، سرعة السليك، ودهاء قيس، وفطنة إياس. وعي باقل، غفلة هبنقة (ابن زيدون، ص665 666).

إن ابن زيدون رسم " أنموذجاً أدبياً يدل به على مقدرته واتساع معارفه" (عباس، 1997، ص124).

(البخاري، 1422هـ، ج2، ص130)، وفي ذلك استهانة بغريمه، حيث رأى أنه لا يعقل ولا يفهم حين أرسل إلى ولادة امرأة، مثل البهيمة التي لا قصاص فيها لأنها لا تعقل.

### ب. التضمين الشعري:

ليس غريباً أن يوظف الشعر في النثر، لكن حين يكون هذا التوظيف من كاتب له صلة بالشعر القديم، ولديه موهبة شعرية شهد عليها النقاد يأتي أشد أثراً وأكثر قدرة على الإقناع وإيصال المعنى، لأنه يأتي من خبرة ومراس، لذلك نجده يضمن عدداً من الأبيات الشعرية في رسالته للسخرية من ابن عبدوس:

ومن ذلك تضمينه لعدد من الأبيات الشعرية في سبيل رسم صورة سلبية لغريمه، التي جاءت على لسان ولادة التي عبرته بجعله حين ظن أنها يمكن أن تفكر فيه.

وقد أصاب غريمه الغرور الشديد حين ظن أنه يمتلك فضائل كابن زيدون، لكن ولادة لا يمكنها أن تتجه إلى حب ابن عبدوس وقد عبرته أنه متزوج غير أعزب وسخرت منه.

وذلك في قوله على لسان ولادة: " ألسنت تأوي إلى بيت قعيدته لكاع " (ابن زيدون، ص683) المأخوذ من قول الحطيئة في هجاء زوجته: **أطوّف ما أتوّف ثمّ أوي إلى بيت قعيدته لكاع**

وقوله أيضاً على لسان ولادة: " وما كنت لأتخطى المسك إلى الرماد ولا لأمتطي الثور بعد الجواد " (ابن زيدون، ص680) بما يظهر مقارنتها له بفتيان قومها، التي رأت أنهم أولى بالتقدير منه؛ فهو كالرماد وهم كالمسك بثبات الأثر، وهو كالثور وهم كالجواد في الأصالة والقوة. وذلك مأخوذ من قول المتنبي:

**وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ أَنْ كَرَّ أَظْلَافُهُ وَالْعَبَبُ الحَا**  
وقد مثلت بهذا القول عدم حاجتها إليه وأنه استغنت عنه بما هو خير منه.

ومن التضمين أيضاً قوله: " وأسمعت لو ناديت حياً " (ابن زيدون، ص684). والذي جاء معرضاً بابن عبدوس الذي حاد عن سماع النصيحة التي دعت له لترك ولادة لأنه لا يستحقها. وهو مأخوذ من قول دريد بن الصمة: **لَقَدْ أَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتُ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تَنَادِي**

واستعان ابن زيدون بأبيات تظهر بغض ولادة لابن عبدوس ومن ذلك:

مساو لو قسيم على لما أمهرن إلا بالطلاق  
الغ (ابن زيدون، ص675) المأخوذ من أبيات لأبي تمام.

ومن المواطن الأخرى للجناس: " وكسرى حمل غاشيتك، وقيصر رعى ماشيتك، والإسكندر قتل دارا في طاعتك، وأردشير جاهد ملوك الطوائف لخروجهم عن جماعتك، والضحاك استدعى مسالمتك، وجذيمة الأبرش تمنى منادمتك " (ابن زيدون، ص664).

وذلك ليسخر من تكبر غريمه وغروره، حيث أخذه عجبه أن يظن نفسه أفضل مكانة من الملوك، وأن الجميع تحت طوعه.

ومنه: "أيها المصاب بعقله، المورط بجهله، البين سقطه، الفاحش غلظه" (ابن زيدون، ص663)؛ ليؤكد فيه جهل غريمه الشديد الذي قاده إلى الخطأ حين فكر بحب ولادة.

#### 4. الطباق:

هو لون من ألوان البديع ولا تنحصر قيمته في التعبير عن تضاد الدلالات المفردة مع بعضها، وإنما له دور هام في بيان الجوانب النفسية عند الكاتب (الشحات، 1994، ص36).

ومن الألفاظ المتضادة التي وردت في الرسالة: الصحة والمرض، والأسماء والأفعال، والشرق والغرب، والمؤمن والكافر، والخبيث والطيب، والذهاب والجيئة، وأظهر وأضمر، وغدا وأمس، والجوهر والعرض، والجنة والنار، ووصل وقطع.

فابن زيدون من خلال الإتيان بالمتضادات يؤكد سخريته من غريمه الذي وجد أن روحه لا تتقارب مع ولادة وأنها لا يمكن أن تجتمع معها كبعد تقارب تلك المتضادات، وهذا يعبر عما اعتور نفسه من غيرة على محبوبته، ومن كره ابن عبدوس الذي حاول أن يناقسه في حب ولادة وهو ليس أهل لهذه المناقسة.

#### 5. السجع:

السجع لغة: "من سجع يسجع سجعاً، أي: استوى واستقام وأشبه بعضه بعضاً، وأما اصطلاحاً: هو توافق الفواصل في الكلام على حرفٍ واحدٍ (الحنبلي، 2004، ص85).

وقد بنى ابن زيدون رسالته على السجع حيث توافقت الكلمات في آخر فاصلتها، ونجد ذلك في كل كلمة من الكلمات الأخيرة في الرسالة.

ورغم كثرة استخدام السجع إلا أنه كان يختار الكلمة المناسبة للتعبير عن المعنى بدقة، وهذا دليل على قدرته البيانية، وقدرته على التشكيل اللغوي وهو كان " يلتزم بالسجع التزاماً يكاد يكون مطلقاً " (الشكعة، 1979، ص593).

وقد تنوعت صور السجع في الرسالة الهزلية إذ نجد ورود السجع القصير وهو السجع الذي تكون فيه السجعة مؤلفة من ألفاظ قليلة.

كقوله " أيها المصاب بعقله، المورط بجهله.... " (ابن زيدون، ص663)

حيث لم يكن يهمنه أن تصل رسالته إلى غريمه بقدر أن تجد هذه الرسالة طريقها للقراءة بما يمثل أسلوبه الأدبي وطرائق تعبيره المتعددة، وإن كان الهدف منها السخرية.

#### 2. فن السخرية القائم على المدح:

لجأ ابن زيدون إلى أسلوب تأكيد التهكم بما يشبه المدح، وهو أسلوب المدح المقلوب، الذي نعته نقاد العرب في القرون الوسطى بالقدح عن طريق المدح أو تأكيد الذم بما يشبه المدح، وهنا تكون السخرية غير مباشرة، فيها تلميح، وتطبيب له النفس ظناً أنها مدح. (العوي، 1989، ص130)، و(الهاشمي، 2017، ص313\_314).

كقوله: "وأن قارون أصاب بعض ما كنزت...، وكسرى حمل غاشيتك، وقيصر رعى ماشيتك؛ والإسكندر قتل دارا في طاعتك، وأردشير جاهد ملوك الطوائف لخروجهم عن جماعتك؛ والضحاك استدعى مسالمتك، وجذيمة الأبرش تمنى منادمتك... وجسائساً إنما قتله بأنفتك؛ ومهلهلاً إنما طلب ثأره بهمتك؛ والسليك بن السلكة إنما عدا على رجليك، وعامر بن مالك إنما لاعب الأسنة بيديك" (ابن زيدون، ص664).

لقد حاول ابن زيدون بهذا وضع غريمه في مكانة أعلى من الملوك، حيث جعلهم لا يقارنون معه في قدره وحسه ونسبه وثورته وأدبه وجماله وهذا على سبيل السخرية منه لا المدح.

كما اتجه إلى مدحه على حساب علماء الطب والنبات والفلاسفة حين قال: "وأن هرمس أعطى بليينوس ما أخذ منك، وأفلاطون أورد على أرسطو طاليس ما حدث عنك... وأبقراط علم العلل والأمراض بلطف حسك، وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة نظرك" (ابن زيدون، ص668).

وهو يسعى بذلك إلى التعريض بغريمه بصورة غير مباشرة عندما ينسب العلوم والمعارف إليه وهو لا يعرف عنها أدنى معرفة، ويجعل أصحابها المعروفين يستشربونه ويرجعون إليه، وذلك ليؤكد الوهم الذي وقع فيه حين ظن نفسه عالماً.

فهو يريد أن يؤكد صفة الجهل لغريمه، بطريقة فيها نوع من السخرية والهزء به وبغروره.

#### 3. الجناس:

وظف ابن زيدون فن الجناس مما أعطى رسالته إيقاعاً يجذب المتلقي لاستكمال القراءة، وعبر عن المعاني المقصودة من خلال الاستعانة بالألفاظ وكلمات منسجمة صوتياً، لكنها تؤدي دلالات مختلفة.

ومن مواطن الجناس الواردة في الرسالة: " قاطعة أنك انفردت بالجمال، واستأثرت بالكمال، واستعليت في مراتب الجلال، واستوليت على محاسن الخلال" (ابن زيدون، ص664).

فقد جانس بين الألفاظ الآتية: الجمال والكمال والجلال والخلال، ليظهر الصفات الإيجابية التي حاولت وسيطة ابن عبدوس أن ترسمها في ذهن ولادة عن ابن عبدوس، وكلها صفات مزعومة بعيدة عنه.

مساحة واسعة للتعبير عن انفعاله ومعانيه المقصودة، ولا يبعد اهتمامه بالإيقاع عن كونه شاعرًا.

### لكن ما الذي ميز سخرية ابن زيدون عن غيره ؟

لقد كان ابن زيدون يميل إلى القص والتقل في الأصوات السردية فمرة يكون القص على لسان ولادة، أو على لسان غريمته، أو صوت خفي، في حين أن الناظر في سخرية الأدباء الذين رأى بعض الباحثين أن ابن زيدون تأثر فيهم (القاضي، 1975، ص 193\_195) يجد أنهم مالوا إلى المنطق أكثر من القص كما هو الحال في المنهج الذي انتهجه الجاحظ المتكلم في رسالة التربيع والتدوير.

كما أن ابن زيدون مال إلى التهكم الساخر الذي يقترب من الهجاء، في الوقت الذي قد يكتفي غيره بالسخرية الممزوجة بالإضحاك والفكاهة، وهذا ينسجم مع الحالة النفسية التي عاشها ابن زيدون وغيرته الشديدة من منافسه بحب ولادة، والدافع الذي كتب من أجله الرسالة الهزلية.

ويرى صالح بن رمضان أن ابن زيدون استعار " من الجاحظ طريقته في صياغة الذم الذي يشبه المدح، فإن أثرها ببعض الأساليب التي طورها الخوارزمي هذه البنية" (ابن رمضان، 2001م، ص 444)، وهو يقصد رسالة الخوارزمي في هجاء الشاعر البديهي ولا سيما في قوله: " كأنك علمت حاتم بن عبد الله السخاء والسموأل بن عاد الوفاء، وقيس بن زهير المكر والدهاء" (الخوارزمي، الرسائل، ص 243). فابن زيدون صاغها بأسلوب مختلف حيث قال: " والسموأل إنما وفي بعهدك... وحاتمًا إنما جاد بوفرك ولقي الأضياف ببشرك" (ابن زيدون، ص 665\_666).

كما أن ابن زيدون راح بين الشعر والنثر في رسالته الهزلية ولم يقيم بنسبة الأقوال لأصحابها، ويلاحظ أن التزم بالسجع على طول الرسالة، وأنه نظم إشارات التاريخة واقتباساته وتضميناته بما يوحي للقارئ بإمكانية وضعها ضمن موضوعات في الدين والفلسفة، والعلوم والتاريخ والأدب.

ولا نعجب من تعدد المعارف واستحضارها في الرسالة حيث إن أكثر الذين ترجموا حياة ابن زيدون أكدوا أنه: "كثير الميل لعلوم العرب وفنون اللغة، فحفظ كثيرًا من آثار الأدباء وأخبارهم، وأمثال الشعراء وحوادثهم، ومسائل اللغة، وكانت له ثقافة فلسفية" (الركابي، 1970، ص 165).

كما يلاحظ أن شواهد ابن زيدون الشعرية كاملة كانت من شعر المشرق، ولا حضور للشعر الأندلسي فيها، وهذا يؤكد قيمة التراث المشرقي وتأثيره في أدباء الأندلس.

وقد كان جليًا في سخرية ابن زيدون أنها كانت أقرب إلى ما يمكن أن يسمى بلاغة الخفاء حيث أنه لم يتحدث عن ذاته بصورة مباشرة وإنما أغلب حديثه جاء على لسان ولادة.

كذلك نجد السجع المتوسط وهو الذي يكون عدد كلماته بين السجع الطويل والسجع القصير قوله: " والله لو كساك محرق البردين، وحاكك مارية بالقرطين " ص 682.

" وإن بادرت بالندامة، ورجعت على نفسك بالملامة" (ابن زيدون، ص 685).

وأخيرًا نجد السجع الطويل الذي يكون عدد كلماته أكبر من القصير والمتوسط كقوله: " زاعمة أن المروعة لفظ أنت معناه، والإنسانية اسم أنت جسمه وهيولاه. (ص 664)

وقوله "وأبقراط علم العلل والأمراض بلطف حسك، وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة حدسك" (ص 668)

وابن زيدون لم يقصد في توافق أواخر الكلمات وسجعها الالتفات للإيقاع الموسيقي فقط بما يجعل التأثير في من يقرأ الرسالة أشد، وإنما كان يهدف لإيصال المعنى من خلال هذا الأسلوب.

بعد تحديد أبرز الفنون البلاغية الساخرة التي وظفها ابن زيدون يبدو من المفيد النظر فيها من حيث عدد ورودها إحصائيًا في الرسالة الهزلية حيث ظهر أن فن التشبيه ورد ( 7 ) مرات، أما فن الطباق فقد وظفه ( 13 ) مرة واقتصر على نوع واحد منه وهو طباق الإيجاب،

أما الجناس فقد ورد ( 42 ) مرة وقد ورد الجناس الناقص أكثر من التام، أما السجع فقد ورد ( 76 ) مرة. في حين أنه وظف أسلوب الحصر ( 12 ) مرة، والملاحظ أنه استخدمه متتابعًا، بتكرار لفظة إنما، قاصدًا إيصال بعض الأفكار لابن زيدون.

وقد استخدم الاستفهام الساخر ( 6 ) مرات، والاقتراب من القرآن ( 6 ) مرات، وتضمين الشواهد الشعرية ( 4 ) مرات، وتضمين الأمثال ( 17 ) مرة، والاستعارة ( 7 ) مرات، وكذلك الكناية ( 7 ) مرات، أما القسم فلم يرد إلا مرة واحدة.

يلاحظ غلبة استخدام فنون البديع من أجل السخرية، حيث إن اللجوء للطباق يؤثر في وضوح المعنى؛ إذ تعرف الأشياء بمتضاداتها، ولعل تركيزه على طباق الإيجاب أكثر لأنه يجد أن غريمه لا يتمتع بالصفات الإيجابية ليسليها منه باستخدام أدوات النفي، وإنما التضاد وقع في أصل المعنى حيث إن الجهل صفة أساسية في ابن زيدون.

أما استخدام الجناس فهو يحث القارئ على البحث في اختلاف معاني الكلمات التي بدت ألفاظها متشابهة، إضافة إلى ما يحدثه من تناغم في الإيقاع الموسيقي.

أما الاقتراب والتضمين فقد منحنا الكاتبة مشروعيتها للقبول لدى المتلقي لما ثبت في الأذهان من مصداقيتها وأهميتها.

ولعل إكثار ابن زيدون من استخدام فن السجع ينسجم مع رغبته في التأثير النفسي على المتلقي من خلال ما يحدثه من موسيقى داخلية، وقد منح هذا الفن

الحنبلي، مرعي بن يوسف (2004)، *القول البيديع في علم البيديع*، تحقيق: محمد بن علي الصامل، الرياض: كنوز إشبيلية للنشر.

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد القيسي الإشبيلي (ت 529هـ). (1989)، *قلند العقيان ومحاسن الأعيان*، تحقيق: حسين خريوش. (ط1). الأردن: مكتبة المنار.

الخوارزمي، أبو بكر محمد بن العباس (1970)، *الرسائل*، تحقيق: نسيب وهيبه الخازن، بيروت: منشورات مكتبة الحياة.

الركابي، جودت (1970)، *في الأدب الأندلسي*. (ط3). مصر: دار المعارف، مصر.

ابن رمضان، صالح (2001م)، *الرسائل الأدبية*، تونس: جامعة منوبة.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794هـ)، (1990) *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط1). بيروت: دار المعرفة.

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت 538هـ)، (1997)، *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. (ط1). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن زيدون، أبو الوليد أحمد بن أحمد بن أحمد بن غالب المخزومي (ت 463هـ). (2004). *ديوان ابن زيدون ورسائله*، شرح وتحقيق: علي عبد العظيم، تقديم ومراجعة: إحسان النص. (ط3). الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري. ساعي، أحمد بسام. (1984)، *الصورة بين البلاغة والنقد*. (ط1). بيروت: دار المنارة.

سليمان، سالم عبد الرزاق. (2007)، *ترسل الشعراء في الأندلس*. (ط1). الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

السويدي، مصطفى. (2008)، *تاريخ الأدب الأندلسي*. (ط1). القاهرة: الدار الدولية للاستثمارات، مصطفى. (2008)، *الأدب الضاحك*. (ط1). القاهرة: الدار الدولية للاستثمارات.

الشحات، محمد أبو ستيت. (1994)، *دراسات منهجية في علم البيديع*. (ط1). مصر: دار خنای للنشر.

الشكعة، مصطفى. (1975)، *قراءة مستأنية لنثر ابن زيدون*. مجلة الكتاب، السنة التاسعة، العددان 1112، تشرين الثاني كانون الأول، بغداد.

مصطفى. (1975)، *الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه*. ط1، بيروت: دار العلم للملايين.

الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام (ت 542هـ). (1997)، *الخبيرة في محاسن أهل الجزيرة*، تحقيق: إحسان عباس. (ط1). بيروت: دار الثقافة.

الصعيد، عبد المتعال. (1997) *بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة*. القاهرة: مكتبة الآداب.

ضيف، شوقي. (1959)، *ابن زيدون*، نوايغ الفكر العربي. ط2. القاهرة: دار المعارف.

في الختام لقد تميز ابن زيدون بكتابته النثرية ذات الفيض الشعري، وكمثال حي عليها نجد أن الرسالة الهزلية نثر فيه من الشعر المضمن والشاعرية المكثفة بما يظهر تمكن كاتبها في الأدب وبراعته في استخدام أساليب الخطاب، لا سيما حينما جعل رسالته على لسان غيره أقصد ولادة بما يؤكد سخريته من غريمه ابن عبدوس بصورة ضمنية من خلال عدة أساليب بلاغية تجعل سخريته في رسالته تمتاز ببلاغتها وجمالها الأدبي.

وهو بهذا لم ينفك عن الموروث الأدبي السابق وإنما لجأ له في موضعه بما يبين ثقافته الواسعة وتمكنه من اللغة، كما أنه استعان بفنون البلاغة المختلفة ليوضح المعاني ويرسخها في النفوس، وكثيراً ما حاول سلب الصفات الإيجابية من غريمه من خلال استحضار صفات وشخصيات عرفت بسلبيتها في العقل الجمعي، كما أنه لجأ للتصوير الساخر في أكثر من موضع.

وكثيراً ما كان يوظف الفنون البلاغية ليقدّم المعنى بصورة مجازية، ولتكون سخريته أدبية وجمالية، تؤثر بقارئها وتقنعه، وتؤكد تهكمه من غريمه؛ وكثيراً ما ظهر هذا في استعاراته وكنائياته المستخدمة وغيرها من الفنون.

كما نجد أن دلالات الاستفهام عنده خرجت إلى معان إنشائية غير تقريرية، ولعل اقتباسه وتضمينه للنصوص الأدبية التراثية يشير إلى سعة ثقافته وتمكنه في الأدب.

كما أن استعانتها بفنون البيديع المختلفة أثرت المعنى وعمقته في نفوس المتلقين، وجعلت الإيقاع أشد تأثيراً في قارئ هذه الرسالة.

### المصادر والمراجع:

ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله الشيباني (ت 637هـ). (1935)، *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة. (ط2) مصر: القاهرة. دار نهضة مصر.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله (ت 256هـ). (1422)، *صحيح البخاري*، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. (ط1). بيروت: دار طوق النجاة.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني (ت 255هـ). (1968) *البيان والتبيين*، تحقيق: عبد السلام هارون. بيروت: دار الفكر.

الجرجاني، أبو العباس أحمد بن محمد (ت 482هـ). (1908)، *المنتخب من كنايات الأدياء وإرشادات البلغاء*. (ط1). مصر: مطبعة السعادة.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت 471هـ). (1912)، *دلائل الإعجاز في علم المعاني*، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر. (ط2). القاهرة: دار الخانجي.

الجندي، علي (1952)، *فن التشبيه*. (ط1). القاهرة: مطبعة نهضة مصر.

الهول، حامد عبده (1982)، السخرية في أدب المازني. (ط1). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ولد أب، أدي (2009م)، الرسالة الهزلية: قراءة في الوجه الآخر لابن زيدون، مجلة الفضاء المغربي، المغرب، ع 16، مج 4. وهبة، مجدي (1984)، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. (ط2). بيروت: مكتبة لبنان.

عباس، إحسان. (1997). تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين. (ط1). عمان: دار الشروق. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت395هـ). (1989)، الصناعتين الكتابية والشعر، حقه وضبط نصه د. مفيد قميحة. (ط2) بيروت: دار الكتب العلمية.

عطية، فاطمة الزهراء (2018)، الرسالة الهزلية وسؤال السخرية، مجلة الفضاء المغربي، مج 2، ع 4، المغرب: جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان. علوش سعيد (1985)، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. (ط1)، بيروت: دار الكتاب اللبناني. العلي، فريال عبد الرحمن (2015)، تقاطعات البنى السردية في الرسالة الهزلية لابن زيدون، مجلة العلوم الإنسانية، البحرين، جامعة البحرين، ع 26. العوبي، رابع محمد. (1989)، فن السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتاب التربيعة والتدوير والبخلاء والحيوان. (ط1) دار الكتاب الثقافي. القاضي، وداد. (1975)، بين الجاحظ وابن زيدون، مجلة الكتاب، السنة التاسعة، العددان 1211، تشرين الثاني، كانون الأول، بغداد.

القزويني، جلال الدين محمد بن سعد بن عبد الرحمن (ت739هـ)، (1953)، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع، تحقيق: عبد المنعم خفاجي. (ط2) القاهرة: دار إحياء الكتب العربية. الكلاعي، محمد بن عبد الغفور الإشبيلي الأندلسي (ت562هـ)، (1996)، إحكام صنعة الكلام، تحقيق: محمد رضوان الداية. (ط1). بيروت: دار الثقافة. لنجو، أدري دي. (1999)، في إنشائية الفواتح والخواتم، ترجمة: سعاد بن إدريس نبيغ. مجلة الروافد، ع 10، ديسمبر.

ابن معصوم، السيد صدر الدين علي خان المدني (ت1119هـ). (1968). أنوار الربيع في أنواع النبيع، حقه وترجم لشعرائه: شاکر هادي. (ط1). العراق: كربلاء، مكتبة العرفان. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (1414 هـ)، لسان العرب. (ط3). بيروت: دار صادر.

ابن منقذ، أسامة. (1960). البديع في البديع في نقد الشعر، تحقيق: أحمد بدوي وحامد عبد المجيد. (ط1). القاهرة: الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، والإدارة العامة للثقافة.

ابن الناظم، بدر الدين بن مالك (ت686هـ). (1989). المصباح في المعاني والبيان والبدیع، حقه وشرحه ووضع فهارسه: حسني عبد الجليل يوسف. (ط1). القاهرة: مكتبة الآداب.

الهاشمي، أحمد. (2017)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع. (ط1). بيروت: المكتبة العصرية. هوكز، ترانس. (1986)، النبوية وعلم الإشارة، ترجمة: مجيد الماشطة. (ط1). بغداد: دار الشؤون الثقافية.